٤

WWW.ATTAWEEL.COM

أسئلة الكتاب صـ ٢٠

ما تبقى من
رحلة احمد بن الطيّب السرخسي

دراسة وتحقيق
هدى شوكة بهنام

المقدمة :

يتميز ادب الرحلات باهمية خاصة لانه يكشف عن جوانب كثيرة للمناطق التي تحيط بها كتب الرحلات كما ان تلك المصنفات تعد نوعا من السيرة الذاتية لكاتبها لما تضمه من ملاحظات ومشاهدات ، ومن بين الرحلات التي لها اهميتها التاريخية الرحلة التي قام بها احمد بن الطيب السرخسي الذي رافق المعتضد بالله قبل توليه الخلافة وذلك في سنة ٢٧١ هـ وذلك لحرب خارويه بن احمد الطولوني حيث دوّن فيها كثيرا من مشاهداته في الرحلة التي انطلقت من عاصمة الخلافة العباسية (بغداد) باتجاه الموصل ونصيبين ثم المدن الشامية الرئيسة حتى مدينة الرملة بفلسطين .

١ ـ حياة صاحب الرحلة

هو ابو العباس احمد بن محمد بن مروان السرخسي[١] ـ نسبة الى مدينة سرخس ـ درس على يد الفيلسوف يعقوب ابن اسحاق الكندي ، اتصل بالخلفاء العباسيين فكان احد مؤدبي احمد بن الموفق طلحة الذي اصبح فيما بعد خليفة باسم المعتضد بالله ، فاختص به واصبح احد مناديه الرئيسيين .

وقد اتسم ابن الطيب بحسن المعرفة وجودة القريحة وبلاغة اللسان وحسن العشرة كما كان مليح النادرة ظريفاً ذا اطلاع كبير في علوم اللغة والادب ، كما روى شيئا من الحديث النبوي[٢] وبرز في العلوم العقلية والنقلية[٣] ، واتسمت مصنفاته وتآليفه بجودتها[٤] وشمولها جوانب المعرفة المختلفة .

وكان المعتضد بالله يخصه باسراره ويستشيره بامور مملكته سواء أكان قبل توليه الخلافة او في اثنائها[٥] . لكن تلك العلاقة التي ربطت المعتضد بالسرخسي لم تستمر حتى النهاية بل انها اودت بحياة السرخسي نفسه ، فيذكر ابن النديم وابن ابي اصيبعة بخصوص السرخسي ان علمه قد غلب على عقله ، وقصة مقتله مذكورة في اغلب المصادر التي ترجمت له[٦] .

وكان ابن الطيب قبيل مقتله يتولى الحسبة والمواريث وسوق الرقيق وذلك في سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وبعد ذلك

WWW.ATTAWEEL.COM

بعام واحد غضب عليه المعتضد حيث عوقب بمئة جلدة وحوّل الى المطبق (السجن) ، وقتل في سنة ست وثمانين ومائة . ويشير ياقوت الى تسرع المعتضد في الحكم عليه وندمه لقتله بعد ذلك[٣] .

وفيما يخص مؤلفاته فقد فصل بعض المؤرخين في ذكر قائمة طويلة منها تغطي جوانب العلوم المختلفة من فلسفة وطب وموسيقى وغير ذلك ، وهي تمثل جانباً من اهتمامات ابن الطيب ومعالجاته وتبين مدى الصلات الوثيقة التي كانت تربطه بالمعتضد اميرا وخليفه . فمما ألفه في الفلسفة اختصر بعضا من المصنفات اليونانية مثل كتاب قاطيغورياس وكتاب بارميناس وكتاب انالوطيقا الاولى والثانية . ومن امثلة كتب الطب ، صنف كتاب المدخل الى صناعة الطب ، ومقالة في البهق والنمش والكلف ، وفي الحسبة له كتاب الاغشاش وصناعة الحسبة الكبير ، وغش الصناعات ، وفي الموسيقى له كتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الغناء والمغنين والمنادمة والمجالسة وانواع الاخبار صنفه للخليفة المعتضد وله من العمر احدى وستون سنة . اضافة الى اشتغاله بالتصنيف في مجالات المعرفة الاخرى من ضمنها الرحلة التي هي موضوع دراستنا[٤] .

وعلى الرغم من كثرة مصنفاته الا انه لم يصلنا منها شيء بصورة أكيدة ولكن قد يكون كتاب آداب النفس من كلام سيد العرب والعجم الذي الفه للمعتضد الذي لايذكر مؤلفه[٥] ، وكتاب المسالك والممالك الذي يذكره ابن النديم بين مؤلفاته يعد من اقدم المحاولات للتأليف في الجغرافيا العملية[٦] .

ويعد كراتشكوفسكي ابن الطيب نوعا نادرا من الكتاب في ميدان الادب العربي لجمعه بين الاهتمام بالفلسفة والعلوم الدقيقة من جهة والادب الفني من جهة اخرى ، وهو في ميدان الادب الجغرافي ينضم من ناحية الى المدرسة الرياضية الجغرافية ذات النزعة اليونانية ومن ناحية اخرى يهتم بالجغرافية الوصفية من طراز المسالك والممالك الذي يشير اليه المؤرخون من مثل المسعودي وياقوت الذي ينقل عنه كثيرا خاصة فيما يتعلق بعصر المعتضد الذي صحبه ابن الطيب في بعض اسفاره[٧] .

٢ ـ الرحلة من الفلحية السياسية والعسكرية :

تعرضت الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي الى اضطراب واسع النطاق لانفصال الاقاليم في شرقي الخلافة ومغربها وذلك نتيجة ضعف الخلافة وازدياد حركات المعارضة الخارجة على السلطة العباسية ، وقد برز ذلك بصورة واضحة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وذلك في خلافة المعتمد على الله التي بدأت منذ سنة ٢٥٦هـ ، واستمرت خلال عهد المعتضد بالله الذي تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ وتوفي سنة ٢٨٩هـ .

حين توفي احمد بن طولون مؤسس الامارة الطولونية في مصر وتولى بعده الحكم ابنه خمارويه ، فكر العباسيون مجدداً في كبح جماح الطولونيين ووقع الاختيار على ابي العباس احمد (الذي اصبح فيما بعد خليفة باسم المعتضد بالله) لقيادة الحملة وذلك لاتصافه بالشجاعة والمقدرة العسكرية[٨] ، فخرج ابو العباس بالجيش العباسي وبرفقته احمد بن الطيب من بغداد في صيف سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م سالكا طريقه الى جهة الموصل ونصيبين على ضفة دجلة الغربية فوصل الى حلب في شهر ربيع الثاني سنة ٢٧١هـ/ايلول ٨٨٤م . ومن حلب اتجه المعتضد الى قنسرين[٩] ، ثم الى العواصم التي اخضعها المعتضد بعد استسلامها[١٠] .

ثم توجه المعتضد صوب شيزر حيث اصطدم الجيش العباسي ببعض القوات التي كان على رأسها ابن كنداج حيث تمكن من هزيمته ثم نزل منها الى حماة وحمص ثم دمشق التي كان فيها قوة للطولونيين حيث لم تستطع الصمود امام جيش المعتضد فانهزمت صوب فلسطين ، وامضى المعتضد في دمشق مدة لاستكمال استحضاراته العسكرية وتنظيم امور وحاجيات جيشه[١١] .

وفي الوقت الذي كانت جيوش العباسيين تروم دخول الشام كانت الاخبار قد وصلت الى مصر فعقد خمارويه بن احمد الطولوني العزم على ملاقاة الخليفة وقتاله لذا فقد خرج بجيش

كبير بولغ في عدده حيث قدرته بعض المصادر بحوالي سبعين الف جندي وذلك في ١١ صفر ٢٧١هـ/٨ آب ٨٨٤م[١٦] .

وبعد خروج جيش المعتضد من دمشق في عدد لايزيد عن اربعة آلاف جندي كانت قوات خمارويه قد اخذت مواقعها في فلسطين في شمال بلدة الرملة على مجرى ماء يقال له الطواحين[١٧] حيث التقى الجيشان في ١٦ شوال ٢٧١هـ/ ٦ نيسان ٨٨٥م وكانت الغلبة اولا لجيش المعتضد ثم انقلب عليه الامر وصارت الغلبة لخمارويه فتفرق جيش المعتضد ومضى الى طرسوس مع نفر من اصحابه كما يروي الطبري[١٨] .

وهكذا اخفقت الحملة التي قادها المعتضد ، ولغرض التخفيف من نتائج المعركة على الجيش العباسي توجه المعتضد بجيشه صوب دمشق لغرض تعزيز سيطرة الخلافة العباسية عليها ، الا ان اهالي دمشق رفضوا فتح ابوابها فتركها متوجها صوب مناطق شمال الشام الساحلية قاصداً مدينة طرسوس[١٩] ، حيث لم يفلح المعتضد في بسط سيطرته على طرسوس وذلك بسبب تأييد واليها لخمارويه كما ان انتصاره زاد من موقعه في الشام علاوة على المساعدات التي كان يتلقاها من الطولونيين فخرج المعتضد من طرسوس يريد بغداد[٢٠] .

وفي رجوع المعتضد مرّ بمدن انطاكية وكيسوم وسميساط ثم عبر الفرات ، الا انه لم يمر بحلب وذلك لوجود خلاف بينه وبين حاكمها[٢١] ، وبعد ان اجتازت الرحلة الشام عادت الى العراق من الطريق نفسه الذي كانت قد سلكته في ذهابها عن طريق الموصل وصولا الى بغداد ، حيث كان دخول المعتضد الى بغداد في يوم ٢١ جمادى الآخرة سنة ٢٧٢هـ[٢٢] .

وبذلك اخفقت هذه الرحلة في تحقيق اهدافها الرئيسة في بسط نفوذ العباسيين على الشام ، والحد من نفوذ الطولونيين بل بالعكس ادت الحملة الى سيطرة الاخيرين على الشام مما دفع العباسيون الى الاقرار بالامر الواقع والاعتراف بسيادة كافور على الشام ، وبعد ارتقاء المعتضد الخلافة سنة ٢٧٩هـ تزوج الخليفة من بنت خمارويه قطر الندى وذلك في سنة ٢٨٢هـ[٢٣] .

٣ ـ ياقوت الحموي ونصوص رحلة ابن الطيب :

المعروف ان المصنف الخاص بالرحلة قد فقد وما وصلنا منها يبقى في حدود ما ضمنه ياقوت في معجمه ، ويبدو ان السبب الرئيس في ايراد ياقوت موادا كثيرة من رحلة ابن الطيب هو سبقها التاريخي وانفرادها بنصوص تاريخية وجغرافية مهمة لم ترد في كتب البلدان الاخرى ولهذا تم جمع تلك النصوص والنقولات من معجم ياقوت ، وذلك لما لها من اهمية لكونه شاهد عيان للنصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي . واذا كان ياقوت قد بلغ الاوج في فن المعاجم فانه يمكن ان يعتبر السرخسي من اوائل من كتب في البلدان والرحلات .

ومما يجدر ذكره ان اسم ابي الطيب لم يرد في مقدمة معجم ياقوت حين اشار الى المصادر التي استعان بها في معجمه على الرغم من كثرة النصوص التي استقاها من الرحلة ، ونقله لجانب مهم من بعض فقراتها مطولاً حتى ان بعض تلك النقولات غلبت على مادة ياقوت او تعليقاته في بعض البلدان . الا انه اشار بصراحة واضحة في متن المواد التي نقلها عن السرخسي . اما الطريقة التي اشار اليها ياقوت في استخدامه للرحلة فقد تفاوتت صيغتها بين توضيح كامل لاستخدامه لها ، وبين الاشارات العرضية الواضحة لصاحب الرحلة ويمكن ان نحصر الصيغ التي افصح بها عن استخدامه للرحلة بالشواهد التالية :

١ ـ الاشارة الكاملة الى الرحلة وصاحبها كما في مادة (الكحيل) حيث يقول : (قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف . . . ذكر ذلك في رحلة المعتضد لحرب خمارويه في سنة ٢٧١هـ) . وكذلك في مادة (حرّان) و (سبسطية) .

٢ ـ الاشارة الكاملة الى صاحب الرحلة دون ذكر الرحلة ، كما في قوله في مادة (برقعيد) : (قال ذلك احمد بن الطيب السرخسي) ، وكذلك في مادة (المرماس) و (ربض الدارين) و (الاردن) و (دمشق) ، و (البردان) . ثم الاكتفاء بذكر اسمه واسم ابيه دون نسبته اي (احمد بن الطيب) كما في مادة

(طرسوس) و (اودن) و (الرافقة) و (الأكام) و (الاسكندرونة) و (رأس العين) .

٣ ـ الاشارة الى النسخة الخطية التي رجع اليها ياقوت الحموي حيث نجده يقول في مادة (الخشبية) : « كذا نقلته من خط ابن كوجك عن احمد بن الطيب» .

وقد بلغ عدد المواد التي احال فيها ياقوت الى الرحلة (احدى وعشرين) مادة بلدانية ، لكننا لانستطيع ان نبحث عن مواد الرحلة الاخرى في مادة المعجم مادام ياقوت لم يشر الى ذلك صراحة ، مع العلم بان ياقوت شأنه شأن اي كاتب في تلك الحقبة التاريخية لم يكن بالضرورة يحيل الى المصادر في كل مواده البلدانية ، ومع ذلك يمكن القول ان ياقوت كان من بين رجال عصره القلائل الذين يتميزون بالاستخدام الواضح للمصادر ، وتطبيق القواعد الرئيسة لشروط البحث العلمي ومتطلباته ، لذا فلا غرابة ان تكون هناك مواد اخرى لم يصرح فيها بالاحالة الى رحلة السرخسي من ذلك مثلا ذكره لواقعة الطواحين حيث انتهت الرحلة فقال ياقوت « الطواحين : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين الشام كانت عنده الوقعة المشهورة بين خمارويه ابن احمد بن طولون والمعتضد بالله ، انصرف كل واحد منهما مغلولاً كانت اولاً على خمارويه ثم كانت على المعتضد »[٢٤] وهناك ملاحظة اخرى ان ياقوت قد ركز على المواد البلدانية التي سلكتها الرحلة في ذهابها الى فلسطين ، واكتفى باشارات عرضية لطريق العودة كما في قوله في مادة طرسوس (رحلنا من المصيصة نريد العراق الى اذنه ومن اذنه الى طرسوس)"[٢٥] .

يتضح مما سبق ان ما اورده ياقوت من رحلة السرخسي كان عبارة عن مجتزآت ، وهنا تكمن الصعوبة في ترتيب الرحلة وتحديد طريقها وضبطه بصورة جيدة خصوصاً في مناطق شمال الشام ، حيث يظهر من خلال اعتماد مادة الرحلة نفسها التي اوردها ياقوت وبالاستعانة بالمصادر التاريخية الاخرى عدم وجود خط سير مباشر وواضح في مناطق شمال الشام ، ويمكن ان نعزو ذلك الى الفشل والاخفاق الذي لحق بالخليفة جراء خسارته في المعركة واخفاقاته المتكررة في دمشق وطرسوس مما جعل مسيرته في تلك المناطق تتسم بالغموض على الرغم مما تفيض به الرحلة من ملاحظات حيوية لم تأت من كتاب وانما جاءت نتيجة مشاهدات ومعاناة متاعب الرحلة والطريق والمعركة .

ويمكننا القول ان خط سير الرحلة معروف وواضح من اللحظة الاولى لانطلاق المعتضد بجيشه الا ان خيط الرواية ينقطع في كثير من الاحيان ويضطرب احيانا اخرى تبعاً لاقتناص النصوص من قبل ياقوت ، فقد خرج السرخسي من بغداد مرافقا للمعتضد ماراً في طريقه على جميع المدن الواقعة على غرب دجلة باتجاه الموصل ، وطيلة هذه الرحلة لانجد اقتباسا من السرخسي الا في موضع واحد قبل وصوله الى الموصل اي ان النقل يبدأ من مدينة الكحيل التي تقع بين تكريت والموصل وبعد اجتياز الموصل تكثر النقولات عن الرحلة وخاصة في مواد برقعيد وأذرمة ونصيبين والمرماس ورأس العين والرقة والرافقة . وعلى الرغم من كل الصعوبات التي واجهتني في ترتيب خط مسار الرحلة . فقد حاولت اخيرا ترتيبها على اساس مواقع المدن في تلك الفترة التي كانت فيها الرحلة ، وقد استعنت بالاستاذ يوسف جرجيس الطوقي لتوضيح مسار هذه الرحلة وتحديد مواقع المدن التي مرت بها فله كل الشكر والامتنان ، ومن الله التوفيق .

هوامش المقدمة

١ ـ سرخس : يقول ياقوت مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق بينها وبين كل واحدة منها ست مراحل . (معجم البلدان طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ ، ٣/٢٠٨)

٢ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ، ٢/١٩١ .

٣ ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء لجمال الدين القفطي ، تصحيح محمد امين الخانجي ، مطبعة السعادة ١٩٠٨ ، ص ٥٥ .

٤ ـ الفهرست لابن النديم تح د. جوهانس رودبجر و د. اوكست مير ، بيروت ١٩٦٤ ، ١/١٩١ .

٥ ـ الاعلام لخير الدين الزركلي ط ٢ ، ١/١٩٥ .

٦ ـ الفهرست ١/٢٦١ ـ ٢٦٢ . اخبار العلماء ٥٥ .

لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ط ٢ ، ١٩٧١م/١٣٩٠هـ ، ١/١٨٩ عيون الانباء ٢/١٩١ ـ ١٩٢ . مروج الذهب للمسعودي تح : محمد محي الدين عبد الحميد ط ٥ ، ١٩٦٧ ، ٤/٢٥٩ .

٧ ـ معجم الادباء ، مطبوعات دار المأمون ، ٣/٩٩ ـ ١٠٢ .

٨ ـ الفهرست ١/٢٦٢ ، عيون الانباء ٢/١٩٣ ، الزركلي ١/١٩٥ .

٩ ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (الطبعة الاول ١/٢٢٤ : ٣٤ ، الطبعة الثانية ١/٤٩ في خطوط الاسكندرية : مواضع ٤) .

١٠ ـ كراسز ، ملحق دائرة المعارف الاسلامية ٦٥ ، تاريخ الادب العربي لبروكلمان ترجمة د. السيد يعقوب بكر و د. رمضان عبد التواب . دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، ٤/١٣٦ ـ ١٣٧ .

١١ ـ تاريخ الادب الجغرافي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القسم الاول ، موسكو ، ١٩٥٧ ، ١/١٣١ .

١٢ ـ مروج الذهب ٤/١٦٧ ، ١٨٢ ـ ١٨٨ .

١٣ ـ ينظر ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب تح : سامي الدهان ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥١ ، ١/٨١ .

١٤ ـ ينظر الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف ، كتاب الولاة والقضاة ، تح رفن كست ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ٣٣٥ .

١٥ ـ ابن الاثير : الكامل في التاريخ بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ ، ٧/٤١٠

١٦ ـ كتاب الولاة والقضاة ص ٣٣٥ ، وينظر ايضا ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية ٣/٥٠ .

١٧ ـ ابن الاثير ٧/٤١٤ .

١٨ ـ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري ، تح محمد ابي الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ، ١٠/٨ الكامل في التاريخ ٧/٤١٤ ـ ٤١٥ .

١٩ ـ الكامل في التاريخ ٧/٤١٥ .

٢٠ ـ الطبري ١٠/٩ ، ١٨ ابن العديم ١/٨٢ .

٢١ ـ ابن العديم ١/٨٢ .

٢٢ ـ الطبري ١٠/٩ .

٢٣ ـ المصدر السابق ١٠/٣٠ ، ٣٩ .

٢٤ ـ معجم البلدان (طبعة دار صادر) ٤/٨٤٥

٢٥ ـ راجع مادة طرسوس .

نص رحلة

احمد بن الطيب السرخسي

الكُحَيْل[1] : « قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف : الكُحيل مدينة عظيمة على دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي ، ذكر ذلك في رحلة المعتضد لحربه خارويه في سنة ٢٧١ .

١ ـ ياقوت معجم البلدان ، تحقيق فردينانند وستنفلد ، طبعه ليبزك ، ١٨٧٣ ، ٤/٢٤٠ وفيه : الكُحَيل تصغير الكحل موضع بالجزيرة وكان فيه يوم للعرب ... ولما الان فليس هذه المدينة خبرٌ ولا أثر ، والكحيل في بلاد هذيل .

بَرْقَعِيد[1] : قال احمد بن الطيب السرخسي : برقعيد بلدة كبيرة من اعمال الموصل من كورة البقعاء وبها آبار كثيرة عذبة وهي واسعة وعليها سور ولها ثلاثة ابواب : باب بلد ، وباب الجزيرة ، وباب نصيبين ، وعلى باب الجزيرة بناة لأيوب بن احمد وفيها مائتا حانوت .

١ ـ ياقوت ١/٥٧١ ، وفيه : «برقَعيد بالفتح وكسر القاف وياء ساكنة ودال بليدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين مقابل بافَرْزَى» . وفي بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ : «وعلى طريق نصيبين مما يلي باعيناثا : برقعيد ، وهي بلدة بضرب المثل باهلها في اللصوصية فكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الامرّين . وكانت في المئة الثالثة (التاسعة) بلدة كبيرة عليها سور ولها ثلاثة ابواب وفيها مئتا حانوت وبها آبار كثيرة عذبة وما حلت المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى لجهتها اكثر القوافل لكثرة الماصل اهلها فاصبحت قرية صغيرة حقيرة» .

أذْرَمَة[1] : قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف في كتاب له ذكر فيه رحلة المعتضد الى الرملة لحرب خُمارويه بن احمد بن طولون وكان السرخسي في خدمته ذكر فيه جميع ما شاهده في طريقه في مضيه وعوده فقال ورحل يعني المعتضد من برقعيد الى اذرمة وبين المنزلين خمسة فراسخ وفي اذرمة نهر يشقّها وينفذ الى آخرها والى صحراتها[2] يأخذ من عين على رأس فرسخين منها وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص وعليه رحى ماء وعليها سوران واحد دون الآخر وفيها خرابات وسوق قدر مائتي حانوت ولها باب حديد ومن خارج السور خندق يحيط

بالمدينة وبينها وبين السّميجية قرية الهيثم بن المعمر فرسخ عرضا وبينها وبين مدينة سنجار في العرض كورة تعرف بين النهرين بين كورة البقعاء ونصيبين ، ولم تزل هذه الكورة من اعمال نصيبين ، وأذرمة اليوم قرية ليس فيها مما وصف شيء .

١ ـ ياقوت ١/١٧٧ ـ ١٧٨ وفيه : «أذرمة بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح الراء والميم قال احمد بن يحيى بن جابر : أذرمة من ديار بكر بلاد ربيعة قرية قديمة احدثها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي من صاحبها وبنى بها قصراً وحصنها »
وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣١ : ان أذرمة تقع في منتصف المسافة بين برقعيد ونصيبين ، وكانت مثل برقعيد كبيرة ، وهي من كورة تعرف بين النهرين ، وهنا يذكر لسترنج ان المعلومات التي استقاها عن هذه المدينة هي من رحلة ابن الطيب طيب المعتضد .

٢ ـ في ياقوت : صحراها

نصيبين[1] : «وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر اهلها اربعون الف بستان بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة ايام وبين دُنَيسر يومان (و)[2] عشرة فراسخ ، وعليها سور وكانت الروم بَنَتْه وأتمه انو شروان الملك عند فتحه اياها وقالوا كان سبب فتحه اياها انه حاصرها وما قدر على فتحها فامر ان تُجمع اليه العقارب فحملوا العقارب من قرية تعرف بطيرانشاه من عمل شهرزور بينها وبين سمرداذ مدينة شهرزور فرسخ ، فرماهم بها في العَرادات والقوارير وكان يملأ القارورة من العقارب ويضعها في العرّادة وهي على هيئة المنجنيق فتقع القارورة وتنكسر وتخرج تلك العقارب ولا زال يرميهم بالعقارب حتى ضج اهلها وفتحوا له البلد واخذها عنوةً وذلك اصل عقارب نصيبين ، واكثر العقارب في جبل صغير داخل السور في ناحية من المدينة ومنه تنتشر العقارب في المدينة كلها ، ذكر ذلك كله احمد بن الطيب السرخسي في بعض كتبه» .

١ ـ ياقوت ٤/٧٨٧ ـ ٧٨٨ : «وفيه : نصيبين بالفتح ثم بالكسر ثم بياء وعلامة الجمع الصحيح ومن العرب من يجعلها بمنزلة الجمع فيعربها في الرفع بالواو وفي الجر والنصب بالياء والاكثر يقولون نصيبين ويجعلونها بمنزلة ما لا ينصرف من الاسماء»
في بلدان الخلافة الشرقية ص١٢٤ : تقع نصيبين في اعالي نهر الهرماس وهي من اعظم مدن الجزيرة شأنا ، وهي نسيبس الرومانية ، وقد زارها الرحالتان ابن جبير سنة ٥٨٠هـ وابن بطوطة في المئة الثامنة ووصفاها .
٢ ـ زيادة اقتضاها السياق

الهِرْماس[1] : الهِرْماس وهو نهر نصيبين يخرجه من عين بينها وبين نهيبين ستة فراسخ مسدودة بالحجارة والرصاص وانما يخرج منها الى نصيبين من الماء القليل لان الروم بَنَتْ هذه الحجارة عليها لئلا تغرق هذه المدينة ، وكان المتوكل لما دخل هذه المدينة سار اليها وامر بفتحها ففتح منها شيء يسير زيادة على ما هو عليه فغلب الماء عليه غلبة شديدة حتى امر باحكامه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص والى الآن هذه العين في اعلى المدينة وفاضل مائها[2] يصب الى الخابور ثم الى الثرثار ثم الى دجلة قال ذلك احمد بن الطيب الفيلسوف .

١ ـ ياقوت ٤/٩٦٢ وفيه : «الهِرْماس بالكسر وآخره سين مهملة والهرماس الاسد الجريء وقيل ولد النمر» .
وفي بلدان الخلافة الشرقية ص١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٧ : ان نهر مجري الهرماس وخابور نصيبين من جانب دجلة الغربي في ست جزيرة ابن عمر كورة طور عابدين الجبلية ، ويصب في اسفل نهر الخابور الكبير ، ومياه نهر الهرماس نفسه تصب في يمين دجلة عند تكريت بعد ان تجري في واد يقال له الثرثار .
٢ ـ ياقوت : مائها .

رَأسُ عَينٍ[1] : وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنيسر وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً وقريب من ذلك بينها وبين حرّان وهي الى دنيسر اقرب ، بينها نحو عشرة فراسخ ، وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور ، واشهر هذه العيون اربع : عين الآس ، وعين الصرار ، وعين الرياحية ، وعين الهاشمية ، وفيها عين يقال لها خسفة سلامة فيها سمك كبار ينظره الناظر كأن بينه وبينه شبرٌ ويكون بينه وبينه مقدار عشر قامات وعين الصرار هي التي نثر فيها المتوكل عشرة الآف درهم ، ونزل اهل المدينة فاخذوها لصفاء الماء ولم يُفقد منها شيءٌ فانه يبين مع عمقها ما في قعرها للناظر من فوقها وعمقها نحو عشرة اذرع وربما اخذ منها الشيء اللطيف لصفائها[2] ، كذا قال احمد بن الطيب . . . وقال احمد بن الطيب وفيها عين مما يلي حرّان تسمى الزاهرية كان المتوكل نزلها وبنى بها بناءً وكانت الزواريق الصغار تدخل الى عين الزاهرية والى عين الهاشمية ، وكان الناس يركبون فيها الى بساتينهم والى قرقيساء ان

شاءوا . . . وقال وبالقرب من عين الزاهرية عين كبريت يظهر ماؤها[3] اخضر ليس له رائحة فتجري في نهر صغير وتدور به ناعورة يجتمع مع عين الزاهرية في موضع واحد فيصبان جميعاً من موضع واحد في نهر الخابور» .

١ ـ ياقوت ٢/٧٣١ ـ ٧٣٢ . وفيه «ويقال رأس العين»
وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥ : «وكانت رأس عين قرب منابع الخابور ، وهي رأس اينا الرومانية على نهر خابوراس مشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠ عينا على ما يقال . وتجتمع هذه العيون فتسقي بساتينها وتجعلها كأنها بستان واحد ، وقد مر بها ابن جبير سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) » .
(ويلاحظ على كلام لسترنج من اصل كلمة رأس عين انها آرامية الاصل من ريش اينا)
٢ ـ ياقوت : لصفائها .
٣ ـ ياقوت : مائها .

باجَدّا[1] : «قال احمد بن الطيب : عليها سور ، وكان مسلمة ابن عبد الملك اقطع موضعها رجلا من اصحابه يقال له أُسيد السُّلَمي فبناها وسوّرها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها يشربُ منها الناس ، وما فضل يسقي زروعها ، وهي قرب حصن مسلمة بن عبد الملك .

١ ـ ياقوت ١/٤٥٣ : وفيه «باجدا بفتح الجيم وتشديد الدال ، والقصر قرية كبيرة بين رأس العين والرّقة»
وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٦ : ان باجّدا تقع في جنوب حرّان على مقربة من شرق نهر البليخ ، وفيه يعتمد لسترنج في استقاء معلوماته عن هذه القرية مما نقله ياقوت عن ابن الطيب اضافة الى مصادر اخرى .

الرافقة[1] : «قال احمد بن الطيب : الرافقة بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلثمائة ذراع قال : وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل وهي على هيأة مدينة السلام ولها رُبُضٌ[2] بينها وبين الرقة ، وبه اسواقها وقد خرب بعض اسوار الرقة» .

١ ـ ياقوت ٢/٧٣٤ وفيه «الرّافِقَة» الفاء قبل القاف» ويعلق ياقوت على كلام ابن الطيب : «قلتُ هكذا كانت اولاً فاما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة وهي من اعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير» .
وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٢ ـ ١٣٣ : في خلافة بني العباس في المئة الثانية كانت الرقة من اهم مدن ما بين النهرين الاعلى ، وتسيطر على لخوم الشام ، وشرع الخليفة المنصور في سنة ١٥٤ (٧٧٢) ببناء مدينة الرافقة على نحو ثلاثمئة ذراع من الرقة . ويقال ان الرافقة بنيت على غرار مدينة السلام فكانت مدينة مدورة ، ولكن سرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت ابنية جديدة في الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وغلب اسم الرقة على الرافقة .
٢ ـ ربض : ربض المدينة : ما حولها .

ربض الدّارَيْن[1] : «قال احمد بن الطيب الفيلسوف : كان محمد ابن عبد الملك بن صالح بناه وبنى فيه داراً اعني الربض ولم يستتمه واتمّه سيماءُ الطويل ورمَّ ما كان استهدم منه وصيّر عليه باب حديد حذاء باب انطاكية اخذه من قصر بعض الهاشميين بحلب يسمى قصر البنات وسمى الباب باب السلامة وبنى سيماء[2] فيه داراً ايضا مقابلة لدار عبد الملك بن صالح فسمى ربض الدّارين لذلك» .

١ ـ ياقوت ٢/٧٥٠ ـ ٧٥١ وفيه : «رَبَضُ الدّارَيْنِ بحلب امام باب انطاكية في وسطه قنطرة على نُويق» .
٢ ـ ياقوت : سيما

حماة[1] : «قال احمد بن الطيب فيما ذكره من البقاع التي شاهدها من مسيره من بغداد[2] مع المعتضد الى الطواحين فقال بعد ذكره حمص[3] : وحماه قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع ، والعاصي يجري امامها ويسقي بساتينها ويدير نواعيرها» .

١ ـ ياقوت ٢/٣٣٠ ـ ٣٣١ . وفيه يعقب على كلام ابن الطيب فيقول : «وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسماها قرية» وقبل ذلك يصف ياقوت حماة فيقول : وحماه بالفتح بلفظ حماة المرأة . . . وحماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات . . يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جدا فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي» .
٢ ـ ياقوت : بغداد .
٣ ـ لم اجد ذكرا لاحمد بن الطيب حين شرح ياقوت حمصا .

دمشق الشام[1] : وقال احمد بن الطيب السرخسي بين بغداد ودمشق مائتان وثلاثون فرسخاً[2] ، وقالوا في قول الله عز وجل [وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين][3] قال هي دمشق ذات قرار ، وذات رخاء من العيش وسعة ، ومعين كثيرة الماء ، وقال قتادة في قول الله عز وجل [والتين] قال الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس ، وطور سينين شعب حسن ، وهذا البلد الامين مكة ، وقال ارم ذات العماد

دمشق[1] . . . واهل الاسطوان قوم من الحكماء الاول كانوا ببعلبك حكى ذلك احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف .

١ ـ ياقوت ٢/٥٨٧ ـ ٥٩٢ ، وفيه : «دمشق الشام بكسر اوله وفتح ثانيه هكذا رواه الجمهور والكسر لغة فيه وشين معجمة وآخره قال البلدة المشهورة قصبة الشام وهي جنة الارض بلا خلاف»

وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧ : «كان العرب مقلين في اطلاق التسميات لكان ذلك علة كثير من الارتباك ، فالقاعدة عندهم ان يسموا عاصمة الاقليم باسم ذلك الاقليم حتى ولو كان لتلك العاصمة اسم آخر ، فدمشق مثلا ما زالت تعرف عندهم بالشام وهي عاصمة الشام» .

٢ ـ في ياقوت : مايتان وثلاثون فرسخ

٣ ـ سورة (المؤمنون ٢٣) آية ٥٠ ك .

٤ ـ سورة (التين ٩٥) آية ١ ك من الآية (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين)

الأُردن[1] : «قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما أُردنان : أُردنُّ الكبير وأردنُّ الصغير ، فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية ، بينه وبين طبرية لمن عَبَرَ البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ، ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية ، وطبرية على طرف جبل يُشرف على هذه البحيرة ، فهذا النهر اعني الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة ، واما الاردن الصغير فهو نهر ياخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغَور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلتهم السُّكرُ ومنها يُحمل الى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بَيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك ، وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهرا واحدا فيسقي ضياع الغور وضياع البُثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي ، وللاردن عدة كور منها : كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك مما ذكر في مواضعه .

١ ـ ياقوت ١/٢٠١ ـ ٢٠٢ وفيه : «الأُرْدُنُّ بالضم ثم السكون وضم الدال المهملة وتشديد النون ، واهل السير يقولون ان الاردن وفلسطين ابنا سام بن ارم بن سام بن نوح (ع) وهي احد اجناد الشام الخمسة وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك» .

الأسكندرونة[1] : «قال احمد بن الطيب : هي مدينة في شرقي انطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس[2] اربعة فراسخ وبينها وبين انطاكية ثمانية فراسخ ، ووجدت في بعض تواريخ الشام ان اسكندورنة بين عكا وصور» .

١ ـ ياقوت ١/٢٥٤ وفيه : «الاسكندرونة بعد الدال راء ، وواو ساكنة ونون»

٢ ـ بغراس : بالسين مكان الزاي : مدينة في خلف جبل اللكام ، بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ على يمين القاصد الى انطاكية من حلب ، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس (معجم البلدان ١/٤٦٧ ، طبعة بيروت) .

الأكام[1] : «قال احمد بن الطيب : ويكون امتداد جبل الأكام نحو ثلاثين فرسخاً وعرضه ثلاثة فراسخ وفيه حصون ورستاق[2] واسع» .

١ ـ ياقوت ١/٣٤١ وفيه : «هكذا وجدته بخط بعض الفضلاء ولا ادري اراد جبل اللكام ام غيره الا انه قال : جبل ثغور المصيصة ، واللكام متصل به ، ولا شك في انهما جبل واحد لان الجبال قد تسمى باسم وتسمى في موضع آخر باسم آخر ، وان كان الجميع جبلا واحدا» .

٢ ـ الرُّستاق : اعجمي معرب ، ويقال ، رزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهي السواد .

الخشيبة[1] : «والخَشَبِيَّةُ بلفظ النسبة الى الخشب : جبل قرب المُصَيصة بالثغور كان به مسلحة للمسلمين وهي مسلحة الثغور ، كذا نقلته من خط ابن كوجك عن احمد بن الطيب»[2] .

١ ـ ياقوت ٢/٤٤٥ . اكتفى ياقوت بمعلوماته عن هذا الجبل مما نقله عن ابن الطيب .

٢ ـ يبدو ان الرحلة التي هي احد مصادر ياقوت في كتابه المعجم كانت مكتوبة كتبها ابن كوجك لكنها لم تصل الينا .

حُوّار[1] : «وذكر احمد بن الطيب في رحلة المعتضد الى الطواحين[2] حُوّار : جبل في غربي جيحان من ثغور الشام قال سمي بذلك لبياض تربته[3] وبذلك سُمي الدقيق الحُواري» .

١ ـ ياقوت ٢/٣٥٤ : وفيه «حُوّار بالضم وتشديد الواو وهو الابيض ومنه الخبز الحُوّاري ، والحُوار والبشر موضعان بالجزيرة عن ابي منصور . . . . والخبري ممن اتى به من اهل حلب ان الحُوّار كورة كبيرة مدينتها البَلّاط وهي الآن خراب

ويقولونه خوّار بفتح الخاء» .

٢ ـ الطواحين : جمع طاحونة الشئ : موضع قرب الرملة من ارض فلسطين بالشام كانت عنده الوقعة المشهورة بين خُمارويه ابن طولون والمعتضد بالله في سنة ٢٧١ ، انصرف كل واحد منهما مغلولا كانت اولا على خمارويه ثم كانت على المعتضد «ياقوت : ٤/٤٥ طبعة بيروت» .

٣ ـ ياقوت : لم يتمها

أذنة[1] : وقال احمد بن الطيب : «رحلنا من المصيصة راجعين الى بغداد الى اذنة في مُرج وقرى متدانية جدا وعمارات كثيرة وبين المنزلين اربعة فراسخ ، ولاذنة نهر يقال له سيحان وعليه قنطرة من حجارة عجيبة بين المدينة وبين حصن عما يلي المصيصة وهو شبيه بالربض والقنطرة ممقودة عليه على طاق واحد قال ولأذنة ثمانية ابواب وسور وخندق» .

١ ـ ياقوت : ١/١٧٩ . وفيه «أذنة بفتح اوله وثانيه ونون بوزن حَسَنة وأذنة بكسر الذال بوزن خُبثة ، وأذنة ايضا بلدٌ من الثغور قرب المصيصة مشهور» .

وفي بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٢ ـ ١٦٣ : «أما المدن الثلاث المصيصة واذنة وطرسوس وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة . . ومدينة اذنة وهي قرب المصيصة تقع على نهر سيحان (نهر سارس) » .

طرسوس[1] : «قال احمد بن الطيب السرخسي رحلنا من المصيصة نريد العراق الى أذَنة ومن أذنة الى طرسوس وبينها وبين أذنة ستة فراسخ وبين اذنة وطرسوس فندق بُغا والفندق الجديد ، وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة ابواب ، ويشقها نهر البَردان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيا فادركته منيته فمات قال الشاعر :

هل رأيت النجوم اغنَتْ عن الما
مُون في عزّ ملكه الماسوس
غادروه بعَرْصَتي طَرسُوس
مثل ما غادروا اباه بطوس

وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها لانها من ثغور المسلمين ثم لم تزل مع المسلمين في احسن حال وخرج منها جماعة من اهل الفضل الى ان كان سنة ٣٥٤ فان نقفور ملك الروم استولى على الثغور وفتح المصيصة كما نذكره في موضعه ثم رحل عنها ونزل على طرسوس ، وكان بها من قبل سيف الدولة رجل يقال له ابن الزيات ورشيق النسيمي مولاه فسلما اليه المدينة على الامان والصلح على ان مَن خرج منها من المسلمين وهو يحمل من ماله مهما قدر عليه ، لايعترض من عَين ووَرق او خُرثي وما لم يُطق حمله فهو لهم مع الدور والضياع واشترط تخريب الجامع والمساجد وانه من اراد المقام في البلد على الذمة واداء الجزية فعل وان تنصّر فله الحباء والكرامة وتقر عليه نعمته قال فتنصر خلق فأقرت نعمهم عليهم واقام نفر يسير على الجزية وخرج اكثر الناس يقصدون بلاد الاسلام وتفرّوا فيها وملك نقفور البلد فاحرق المصاحف وخرب المساجد واخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جُمع من ايام بني أُمية الى هذه الغاية» .

١ ـ ياقوت ٤/٥٢٦ ، وفيه : «طرسُوس بفتح اوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة بوزن قربوس كلمة عجمية رومية ولا يجوز سكون الراء الا في ضرورة الشعر وهي مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم» .

وفي بلدان الخلافة الشرقية ص١٦٤ ، ١٦٥ ان مدينة طرسوس كانت من اجل الثغور ، وتشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طوروس المعروف بابواب قيليقية ، وكان يشق المدينة نهر البردان (نهر كودنس) .

البَرْدان[1] : «والبردان ايضا نهر يسقي بساتين مَرعش وضياعها مخرجه من اصل جبل مَرعَش ويسمى هذا الجبل الاقرع ، وذكر هذين النهرين احمد بن الطيب السرخسي» .

١ ـ ياقوت ١/٥٥٣ ـ ٥٥٤ . وفيه ان «البردان ايضا نهر بثغر طرسوس مجيئه من بلاد الروم ويصب في البحر على ستة اميال من طرسوس ولا اعرف بالشام موضعا او نهرا يقال له البردان غيره فهو الذي عناه الزمخشري» .

في بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠ ، ان من طرق بغداد الطريق الشمالي الذي يخترق عقلة الشمالية قبالة البرمان في بغداد الشرقية ، ثم يصل الى بلدة البردان التي تقع على ضفة دجلة الشرقية ثم يتابع سيره يسار النهر فيبلغ سامراء ومدن ما بين الشمالي (اللهم الجزيرة) .

أودن[1] : «قال احمد بن الطيب : اودن قرية كبيرة تحت جبل بين مرعش والفرات» .

١ ـ ياقوت : ١/٣٣٩ وفيه «اودن بالنون» .

سَبَسْطِيَةُ[1] : «قال احمد بن الطيب السرخسي في رسالة وصف فيها رحلة مسير المعتضد لقتال خُمارَوَيه وعوده . قال : سبسطية : مدينة قرب سُميساط محسوبة من اعمالها على اعلى الفرات ذات سور» .

١ ـ ياقوت ٣/٣٣ وفيه : «سبسطية بفتح اوله وثانيه وسكون السين الثانية وطاء مكسورة وياء مثناة من تحت فخفاء ويعلق ياقوت على قول ابن الطيب «قلتُ المشهور ان سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان» .

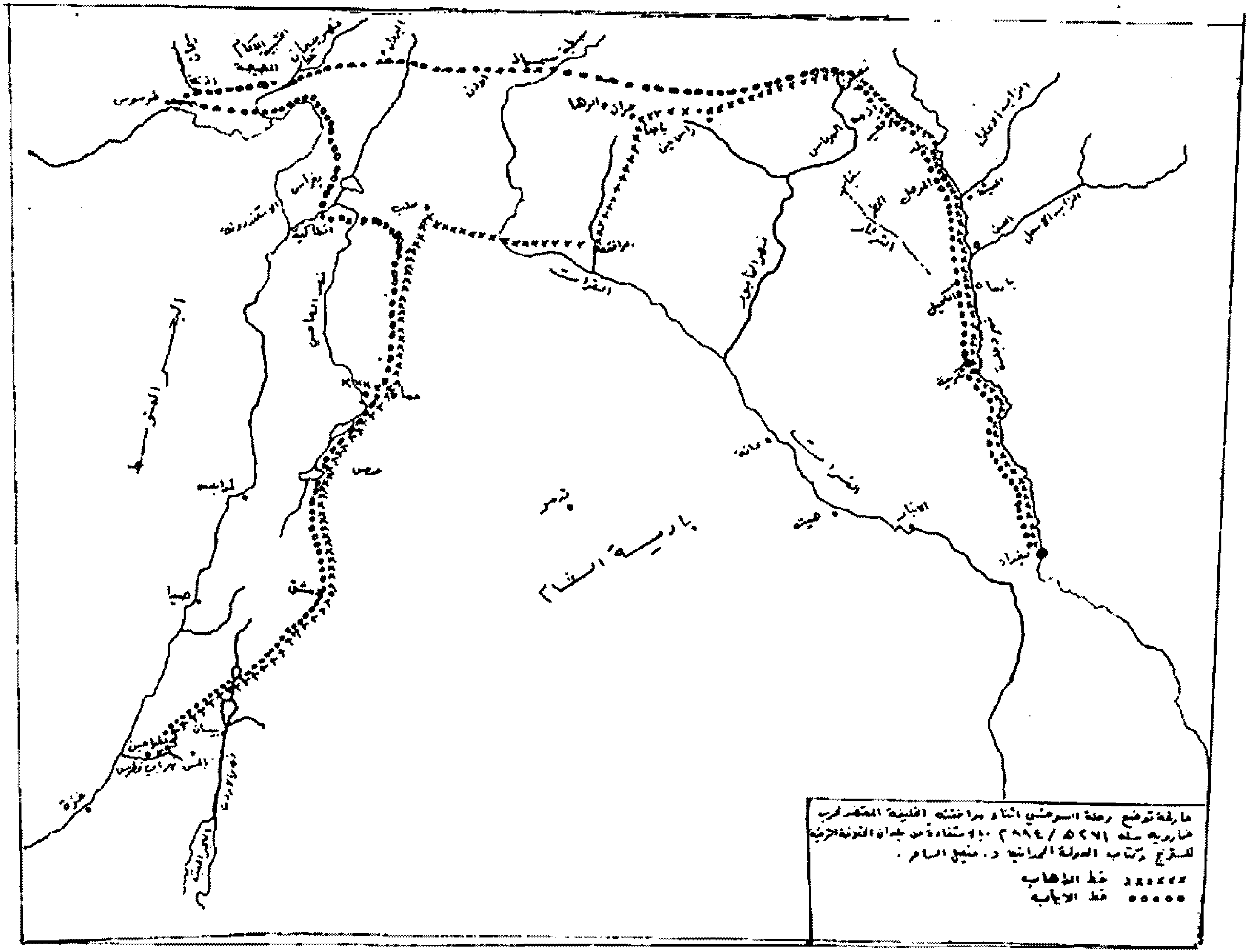
خارطة توضح رحلة السرخسي اثناء مرافقته الخليفة المعتضد لحرب خمارويه سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤م ، بالاستفادة من بلدان الخلافة الشرقية للسترنج وكتاب الدولة الحمدانية د. فيصل السامر .
xxxxxx خط الذهاب
●●●●● خط الاياب
البحر المتوسط
بادية الشام
تدمر
نهر العاصي
نهر الخابور
الفرات
بغداد
دمشق
حمص
حماة
حلب
انطاكية
هيت
الانبار
عانة
غزة
طرسوس